



لكمة التيس في عين الجنرال

حرب الثلاثين عاماً بين ماركيز ويوسا

إعداد
وترجمة:
محمد
ناصر الدين

«كان الطبيب يسمح له عينه اليسرى بمندبل، مستغرباً من أنه لا يفعل ذلك بنفسه، وهو الغيور على مظهره الشخصي. انتبه إلى شروده عند مدخل المدينة، حين أوشكت مجموعة أبقار جامعة أن تصدم العربية» (غابرييل غارسيا ماركيز - «الجنرال في متهته»)

«الوحيد الذي لا يستطيع خيانتني بين جميع من يحيون بي، حتى لو رغب في ذلك، هو أنت. لأنني الشخص الوحيد الذي يمكنك اللجوء إليه، والذي لا يكره ولا يحلم بقتلك. إننا متزوجان إلى أن يفرق بيننا الموت». (ماريو بارغاس يوسا، من رواية «حفلة التيس»)

عند وفاة غابرييل غارسيا ماركيز (1927 - 2014) في نيسان (أبريل) 2014، لم يتردد ماريو بارغاس يوسا (1936) بالتصريح لقناة تلفزيونية لاتينية بما يلي: «اليوم مات كاتب كبير. مؤلفاته حققت انتشاراً مذهلاً ونالت حظوة عظيمة في الأدب

وضعت صحيفة «الجوراندا» صورة ماركيز المبتسم بالدمغة السوداء حول العين على الصفحة الأولى

المنتمي للفتنا. روايات ماركيز ستعيش بعده طويلاً، وستستمر في إغواء القراء أينما وجدوا». لم يخس يوسا «غابو» حقه، وهو على الأغلب يعني ما يقوله. لكن هذه الكلمات الدافئة ليست سوى رأس جبل الجليد لقصة حرب استمرت ثلاثين عاماً بين الرجلين كشفت عنها أولاً صحيفة «لاجوراندا» المكسيكية، ومن ثم «نيويورك تايمز» منذ أقل من سنوات عشر في مناسبة ثمانينية ماركيز، في فصل أسطوري من كواليس أدب القارة المدهشة.

اللقاء بين «غابو» وماريو

الزمان: 12 شباط (فبراير) 1976.

المكان: قصر الفنون الجميلة في العاصمة مكسيكو.

المناسبة: العرض الأول لفيلم «أوديسة الأنديز» الذي يتناول تحطم طائرة فريق الرغبي من مونتيفيديو فوق جبال الأنديز عام 1972، وتمكن قسم من اللاعبين من النجاة بفضل أكل لحوم أفراد الطاقم الموتى في الحادث.

لم يكن للفيلم أن يغير ضجة وقتها لولا أن الكاتب هو «السوبر ماريو» البيروفي يوسا الذي حظي بشهرة عالمية منذ صدور روايته

أنه قد استهوتته الفكرة بأن تكون له صورة بالعين السوداء. ثلاثون عاماً تكفي، لدي علاقة جيدة بالجوراندا وقررت أن أعطيهم الصورة» (ولـ «نيويورك تايمز» لاحقاً). قصة الحسناء السويدية وثار باتريسيا تولى إخراجها إلى العلن بابلو اسبينوزا، المحرر الثقافي للصحيفة المكسيكية الذي أوضح أنه «رغم أن قصة اللكمة متداولة في مكسيكو، إلا أن تفاصيلها لا تعرفها إلا فئة قليلة». حجز ريكوردو مويبا وبابلو اسبينوزا مكانهما كبطل كوميديا في السيرة الأدبية اللاحقة التي ستكتب للطلين الرئيسيين للرواية والأدب في القارة الساحرة: ماريو بارغاس يوسا وغابرييل غارسيا ماركيز.

لقاء لم يتم

لم يشأ الروائيان العودة إلى تلك الحادثة البتة. يوسا وعد مرة بكشف السر لكنه لم يفعل. لم يعقد صلح بين الرجلين من بعدها. مع الوقت، كان الشقاق الذي تغذيه الاختلافات الأدبية والسياسية يكبر بينهما. عام 1997 مثلاً، في مناسبة المؤتمر الأول للغة الإسبانية في زاكاتيكاس في المكسيك، طرح ماركيز فكرة تبسيط الكتابة في قواعد اللغة الإسبانية. لم يتوان يوسا عن الرد «تموت اللغة إذا تم اجتثاث القواعد. لماركيز مخيلة خيبة، لكنه ليس فيلسوفاً، أو بختاً». 2007: تناقلت الصحف أن المصالحة قاب قوسين أو أدنى من الوقوع، وأن يوسا سيكتب مقدمة للطبعة المميزة لـ «مائة عام من العزلة» في مناسبة العيد الأربعين لصدورها، كان قد احتفظ بها منذ الزمن الجميل للصدقة.

2010: يوسا ضيف الشرف في مهرجان كرتاجين للأدب في إسبانيا. فندقه على مسافة عشرين متراً من منزل غابو. هل تحدث الرجلان؟ على الأرجح، لم يحصل الأمر. لكن في مناسبة الحديث عن اساتذته في الأدب، أفصح يوسا عن أسماء ثلاثة: خورخي لويس بورخيس وخوليو كورتار... وغابرييل غارسيا ماركيز!

2014: وفاة غابو ليرثه يوسا بكلمات غلبت إعجاب الأديب على أحقاد الإنسان، لتبقى الصورة الفوتوغرافية التي كما يقول بارت «الصورة تحصل في شيء ما بالبعث، هي نوع من مسرح بدائي، مثل لوحة حية، مثل مجازية الوجه الساكن المخضب الذي نرى الموت تحته». وجهه لم يخبه الموت، بل لكمة «التيس» في وجه «الجنرال».

الباردة في أن، لا تمت بصلة إلى الليندي وبينوشيه وارماندو فالاداريس وكاسترو. زوجة غابو نطقت أمام الحضور في قصر الفنون بجملة صغيرة: «ليس يوسا سوى أبله غيور». شاهد عيان أكد للصحيفة أنه سمع يوسا يصرخ بماركيز: «كيف تجرؤ على عناقني بعد ما فعلته مع باتريسيا في برشلونة؟». باتريسيا هي زوجة يوسا وقربته. عاش الرجلان مع أسرتهما رداً من الزمن في برشلونة مطلع السبعينيات، حيث التقى يوسا بحسناء سويدية ليقع في حبها وينتقل للعيش معها في استوكهولم. لم تجد باتريسيا أفضل من صديق العائلة لمواساتها خلال الأزمنة الزوجية. يقول الخبثاء إن الأمر تخطى المواساة قليلاً. لم ترق استوكهولم الباردة ليوسا، صاحب الدماء اللاتينية الحارة، لتستقبله باتريسيا من جديد في برشلونة. اعترفت باتريسيا لماريو بأنها لم تضع الوقت سدى أثناء غيابه في استوكهولم.

صورة طبي الكتمان

وضعت صحيفة «الجوراندا» صورة ماركيز المبتسم بالدمغة السوداء حول العين على الصفحة الأولى من العدد المخصص لثمانينية غابو في السادس من آذار (مارس) 2007. المصور المكسيكي رودريغو مويبا الذي التقط الصورة، تحول مباشرة إلى نجم تطارده وسائل الإعلام في الأرجنتين وكولومبيا وتشيلي. «استحوذت هذه الصورة بالذات على تفكيرى قرابة ثلاثين عاماً. لدي الآلاف من الصور العظيمة، لكن هذه بالذات ليست غيرها». يصرح مويبا بالإسبانية لإحدى الإذاعات في مكسيكو. يقول إن صديقه ماركيز طلب منه أن يأخذ له صورة بورتريه بالعين السوداء. رغم أن الصورة لم تنشر البتة، يعترف مويبا بأنه طبع نسخة وحيدة منها لصديق علقها فوق جدار في بيته. أحد الصحافيين الفضوليين علم بموضوع الصورة وطلب إنذاراً بنشرها في صحيفة محلية، «لكننا لم نتوصل إلى اتفاق بشأنها». يتابع مويبا: «حضر غابو إلى بيتي بعد الحادثة بيومين، ظننت في البداية أنه قد ضرب من قبل الشرطة المكسيكية. غابو وأنا صديقان كفاية، لكننا لم نتحدث بأمر الصورة فيما بعد، أو حتى عن الدافع لالتقاطها. لكنني أظن أن هوسه بالتفاصيل، وهذا من صلب طبيعته كروائي، كان يدفعه إلى تسجيل تفاصيل حياته وتوثيقها أيضاً، أو أظن

الأولى «المدينة والجراء» عام 1963. نجم آخر من روايتي أميركا اللاتينية يفاجئ الجميع بحضوره: الكولومبي ماركيز الذي أسر لب العالم بأسره بروايته «مائة عام من العزلة» (1967). استقبل «غابو» وزوجته بعاصفة من التحايا والقبل، هو الذي كان قد أوشك حينها على إنهاء رائحته «خريف البطيريك» وانتقل للعيش في مكسيكو، أخذاً عهداً على نفسه بالامتناع عن الكتابة طالما بينوشيه على رأس الطغمة الحاكمة في تشيلي. لتمضية الوقت، كان من المفيد لغابو الذهاب إلى السينما. عند أسفل الدرج المزخرف في قصر الفنون الجميلة، لمح ماركيز يوسا، فترك الحشد مبتهجا، وتوجه نحوه فاتحاً ذراعيه. كان يفترض بالرجلين أن يكونا صديقين حميمين منذ لقائهما الأول عام 1967: «غابو» هو عراب ابن يوسا، والبيروفي خصص للكولومبي أطروحة دكتوراه كاملة بعنوان «غابرييل غارسيا ماركيز: قاتل الهة». إنها إذن لحظة اللقاء المنتظرة. تصلب جسد يوسا الذي أغلق قبضة يده بإحكام. وحين تقدم غابو نحوه فاتحاً ذراعيه، باغته بلكمة مباشرة في عينه اليسرى أطاحت به أرضاً في الحال: مشهد سينمائي بامتياز حمل بعض الحضور على الظن بكونه دعابة مقصودة للفيلم. تم «توضيب» لكمة يوسا بهدوء في الإعلام المكسيكي واللاتيني، بين الأدباء: فلاديمير نابوكوف مقابل ادموند ويلسون، ليليان هيلمان مقابل ماري ماكارثي، نورمان ميلر مقابل غور فيدال؛ فيدال المطروح أرضاً، هو الآخر، بواسطة غريمه بادر إلى القول بطريفة ليست بأقل قوة «مرة أخرى، تعوز نورمان ميلر الكلمات».

قصة السويدية الحساء

ما هو السبب الذي حمل البيروفي على العنف؟ مشادة أدبية مشحونة؟ نزاع إيديولوجي متصاعد؟ سارتر مقابل كامو؟ كانت السياسة في تلك الفترة قد بدأت تنخر بسوسها في الصداقة بين يوسا وماركيز. الثاني يتهم الأول بمحاباة اليمين ومغازلة الامبريالية، والأول ينتقد إعجاب الثاني بتجربة كاسترو، التي يقارنها بتجربة بينوشيه في القمع السياسي والسجون السرية وانتهاك حقوق الإنسان. ما كشفه تحقيق «الجوراندا» ومن ثم «نيويورك تايمز» هو القطبة المخفية خلف لكمة يوسا. قطبة أبسط وأعدت من الحرب